من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة

بقلم الدكتور/ صالح بن علي أبوعرّاد
أستاذ التربية الإسلامية ومدير مركز البحوث التربوية
بكلية المعلمين في أبها

د. صالح بن علي أبو عرّاد

من مظاهر
عناية الإسلام بالبيئة

مقدِّمة:

تُعد قضية حماية البيئة والعناية بها من القضايا العالمية المعاصرة التي تحظى باهتمام المسؤولين والمتخصصين في العلوم المختلفة ذات العلاقة بالبيئة ، لاسيما وأن البيئة تتعرض في هذا العصر للكثير من صور الفساد المتمثل في ظهور الكثير من المشكلات البيئية المتجددة مثل : التلوث البيئي بصوره وأنواعه المختلفة ، واستنزاف الموارد الطبيعية ، والتصحر ، وانجراف التربة ، وغير ذلك من المشكلات التي تكشف بوضوح عن وجود خللٍ كبيرٍ في سلوك الإنسان وتصرفاته غير الرشيدة مع

مكونات البيئة ؛ نتيجةً لغياب الوعي البيئي ، وقلة الاهتمام بالتربية البيئية ، إضافةً إلى عدم وضوح المنظور الإسلامي للتربية البيئية الذي ينبغي أن يحكم ويضبط سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه مكونات البيئة وعناصرها المختلفة ؛ فالإسلام يدعو الإنسان إلى الاعتدال ، ونبذ الإسراف ، وعدم الفساد في الأرض ، والحرص على إعمارها وإصلاحها ، واستثمار مواردها الطبيعية بتوازن يلبي حاجاته ، ويوفر متطلباته الحياتية دونما إفراطٍ أو تفريط .

وانطلاقاً من ذلك فقد حدد الإسلام للبشرية مسارها السلوكيَّ البيئيَّ الصحيحَ ، وبيَّن أن المحافظة على مقومات الحياة والبيئة

يُعد مقصداً أساسياً من مقاصد الشريعة الإسلامية لأن هذه البيئة هي منزله ومستقره الدنيوي الذي يمارس فيه مختلف أنشطته الحياتية ، وهو ما أشار إليه سيد قطب بقوله : " فالمسلم يعرف – من تصوره الإسلامي – أن ((الإنسان)) قوةٌ إيجابية فاعلة في هذه الأرض ، وأنه ليس عاملاً سلبيًّا في نظامها ؛ فهو مخلوقٌ ابتداءً ليُستخلف فيها ، وهو مُستخلف فيها ليُحقق منهج الله في صورته الواقعية : ليُنشئ و يُعَمِّر ، وليُغيّر ويُطوّر ، وليُصلح ويُنمّي . وهو معانٌ من الله سبحانه بجعل النواميس الكونية ، وطبيعة الكون الذي يعيش فيه مُعاونةً له ..

وهو مُعانٌ من الله كذلك بما وهبه من القوى والاستعدادات الذاتية " [١] .

ونظراً لتعاظم المشكلات البيئية ، وانتشار خطرها بصورةٍ تجاوزت الحدود الزمانية والمكانية حتى أصبحت خطراً حقيقيًّا تُعاني منه البشرية في كل مكان ؛ فقد حاولتُ في هذا الموضوع إبراز بعض مظاهر عناية الإسلام بالبيئية ؛ لاسيما وأن المنظور الإسلامي يَعُدُّ تعامل الإنسان الإيجابي مع البيئة عبادةً شرعيةً يُثابُ عليها متى قُصد بها وجه الله تعالى والامتثال لأوامر الدين وتعاليمه ، وليس هذا فحسب بل إن حُسن التعامل مع البيئة يُعَدُ نوعاً من أنواع السلوك الحضاري

الـذي لا غنـى عنـه ، ولا بـديل لـه حتـى تـتم مواجهة هذا الخطر المتزايد ، والحد من تعاظم مشكلاته ومخاطره .

= موقف الدين الإسلامي من البيئة:

يُعد موقف الإسلام من البيئة موقفاً إيجابياً ورائداً ؛ لأنه ينطلق في أساسه من المبدأ القرآني الخالد الذي ينهى الإنسان نهياً قاطعاً في أي زمانٍ ومكان عن الإفساد في الأرض بأي صورةٍ من الصور ، و بأي شكلٍ من الأشكال ، وخير دليلٍ على ذلك قوله تعالى : **{ ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين }** [الأعراف : ٨٥] .

ولا تنحصر عناية الإسلام بالمكونات البيئية المختلفة في النهي عن الإفساد في الأرض ؛ بل يتعدى ذلك إلى الحث والترغيب في حُسن التعامل مع البيئة ، والحرص على استثمارها ،

والإفادة من طاقاتها وخيراتها المختلفة ؛ مع ضرورة العناية بها والمحافظة على سلامتها ، وحمايتها من كل ما قد يضُر بها أو بمكوناتها ، أو يُخل بتوازنها البيئي . و ليس أدل على ذلك من تلك الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة التي اعتبرت أن " حماية البيئة من التلوث واجبٌ دينيٌ على كل مسلمٍ ومسلمة قبل أن يكون واجباً تشريعياً تُصوره بعض المؤسسات أو الهيئات التي تهتم بشؤون البيئة ، وأن هذا الواجب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبادات التي يقوم بها المسلم " [٢] .

وفيما يلي عرضٌ موجزٌ لأهم مظاهر عناية الدين الإسلامي ببعض المكونات البيئية

الرئيسة التي تأخذ صوراً عديدة ، وأشكالاً مختلفة يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

أولاً / مظاهر عناية الإسلام بالإنسان :

تتمثل مظاهر عناية الإسلام بالإنسان في أوجه التكريم الكثيرة التي كرَّمه الله تعالى بها من النعم الظاهرة والباطنة التي تحدثت بها الآيات القرآنية الكريمة ، و دعت إليها الأحاديث النبوية الشريفة ؛ حتى كان الإنسان الصالح أهم عناصر البيئة وأكرمها على الإطلاق بدليل قوله تعالى : **{ ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً }** [الإسراء : ٧٠] .

ولعل من أبرز ما فُضِلَ به الإنسان أن سَخَّر له كل ما في الكون من مخلوقات " فقد جعل له السماء سقفاً محفوظاً ، وجعل له الأرض بساطاً و فراشاً ، و سخر الشمس تمده بالدفء والضياء ، وسخر القمر له نوراً وحسباناً ، وجعل الليل سكناً وراحة ، وسخر الله له النهار للسعي والعمل ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات والزروع مختلفة الطعوم [الأطعمة] والأشكال والألوان ، وسخر له البحر يحمل سفنه التي تنقُله من مكانٍ إلى آخر ، ويستخرج منه الطعام والحُلي ، وأجرى له الأنهار ليشرب منها والحيوان والزروع " [٣] .

وهذا يعني أن الإنسان يُعد أهم عناصر البيئة وأكرمها ، وأن مُقتضى هذه الأهمية وهذا التكريم يفرض أن تكون للإنسان السيادة على بقية العناصر والمخلوقات الأُخرى .

ومن مظاهر عناية الإسلام بالإنسان أن كفل له ما يُعرف في العلوم الشرعية بالضرورات الخمس التي لا يمكن أن تستمر حياته بدونها وهي : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ المال .

كما أكد الإسلام على أهمية وضرورة النظافة العامة في كل شأنٍ من شؤون الإنسان ، وفي كل جزئيةٍ من جزئيات حياته

سواءً كانت النظافة في جسمه ، أو ملبسه ، أو مسكنه ، أو مكان عمله ، أو غير ذلك من الأماكن التي يوجد فيها ، وما ذلك إلا لما يترتب على النظافة العامة والخاصة في البيئة من المنافع الكثيرة ، والحماية من المخاطر الصحية التي عادةً ما تنشأ عن تراكم الأوساخ وكثرة انتشارها في البيئة . وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتوضح مدى عناية الإسلام بالنظافة الجسمية ، والمكانية ، والفردية ، والاجتماعية ؛ فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله e : " ***عشرٌ من الفطرةِ : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ،***

وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء [يعني الاستنجاء] " . قال الراوي : " ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٠٤ ، ص ١٢٥) .

وهذا الحديث يدعو إلى المحافظة على النظافة الشخصية للإنسان بصورةٍ تجعل من صاحبها صحيحاً ، قوياً ، جميلاً في هيئته ، نظيفاً في جسمه كله ، وقادراً على تحمل ما يُحيط به من الملوثات البيئية العادية .

وليس هذا فحسب فإن من صور عناية الإسلام بالإنسان أن دعت تعاليمه وتوجيهاته العظيمة إلى تربية الإنسان والمجتمع المسلم على

جملةٍ من الآداب الفاضلة و الأخلاق الكريمة الكفيلة بالحفاظ على سلامة الإنسان، والحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي في المجتمع من حوله . فعن أبي سعيد الخُدري t قال : " ***نهى رسول الله e عن اختِناثِ الأسقية ، يعني أن تُكْسَرَ أفواهُها فيُشْرَبَ مِنها*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٢٥ ، ص ٩٩٧) .

وعن أبي هريرة t : " ***نَهَى النبي e أن يُشْرَبَ من فِي [فم] السِّقاء*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٢٨ ، ص ٩٩٧) . والمعنى أن النبي e نهى عن الشرب المباشر من أفواه القِرَب أو ما في حكمها من أواني حفظ المياه التي يُقلب رأسها ثم يُشرب منه بالفم مباشرةً ،

لما قد يترتب على ذلك من تلويثها بريق الشارب أو أنفاسه وبخاصة إذا كان مريضاً ، وهذا فيه دعوة إلى استخدام الأواني الخاصة بالشرب كالأكواب ونحوها .

وعن أبي سعيد الخُدري t إن النبي e نهى عن النفخ في الشراب ، فقال رجلٌ : القذاة أراها في الإناء ؟ قال : ***أهرقها*** . قال : فإني لا أروى من نفسٍ واحد ؟ قال : ***فأبن*** [أي أبعد] ***القدح إذاً عن فيك*** " (رواه الترمذي ، الحديث رقم ١٨٨٧ ، ج ٤ ، ص ٣٠٣) . وعن أبي قتادة t قال : قال رسول الله e " ***إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٦٣٠ ، ص ٩٩٧) .

وهكذا نلاحظ أن هذه الأحاديث النبوية الكريمة قد جاءت ببعض التوجيهات الكفيلة بالمحافظة على سلامة وصحة الإنسان من التلوث الذي قد يحصل بالعدوى عن طريق التنفس أو النفخ في الإناء الذي فيه الماء " نظراً لأن تردد أنفاس الشارب يُكسب الماء رائحةً كريهةً ، أو ربما يكون حاملاً لبعض الميكروبات أو الفيروسات التي لا نراها بالعين المجردة فتتسرب إلى ماء الشرب وتنتقل العدوى للآخرين " [٤] .

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في مظاهر عديدة تنطلق من كونه مخلوقاً مكرماً ومتميزاً عن غيره من

المخلوقات ؛ الأمر الذي يجعله بمثابة القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض ، فكان عليه أن يُحسن استثمار ما سخره الله تعالى له من الخيرات والنعم والموارد البيئية المختلفة ، وأن يضبط تصرفاته معها ، وأن يكون أميناً في تعامله معها دونما إفسادٍ أو إخلالٍ بنظامها الذي تعمل به وتسير عليه . وأن يحرص على نظافته ، ونظافة بيئته ، وأن يتحلى بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي وتعمل على حماية البيئة منها .

ثانياً / مظاهر عناية الإسلام بالثروة الحيوانية:

اعتنى الإسلام بالثروة الحيوانية عنايةً كبيرةً لاسيما وأن الحيوانات تُعد عنصراً هاماً من عناصر النظام البيئي ؛ إضافةً إلى كونها مصدراً رئيساً من مصادر غذاء الإنسان ، وضرورةً من ضروريات الحياة اللازمة لأداء منافعه ، وقضاء مصالحه المختلفة . قال تعالى : **{ والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ❖ ولكم فيها جمالٌ حين تُريحون و حين تسرحون ❖ وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ❖ والخيل والبغال والحمير**

لتركبوها وزينةً و يخلق ما لا تعلمون } [النحل : ٥ – ٨] . وقال سبحانه : **{ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين }** [النحل : ٨٠] .

والمعنى أن بقاء العنصر الحيواني واستمرارية وجوده في البيئة يكفُل – بإذن الله تعالى – تحقيق التوازن البيئي المطلوب بما يُقدمه من وظائف هامة ، وما يؤديه من مهام إيجابية ، حيث " تؤدي الطيور والحيوانات والقوارض عملاً هاماً في حماية البيئة من التلوث ، أي أنها تقوم – فضلاً عن كونها من

المكونات الأساسية للنظام البيئي – بوظيفة العوامل الوقائية للنظام ، إذ تُخلص النباتات من الحشرات الضارة . وتُشَكِّل هذه الحشرات أكثر من (٦٠ ٪) من غذاء الزواحف ؛ وقد رأينا أيضاً أن الذئاب تفترس الحيوانات المريضة التي يُمكن أن تكون مصدراً للتلوث " [٥] .

كما جاءت تعاليم وتوجيهات الإسلام داعيةً للمحافظة على سلامة الطيور والحيوانات والشفقة عليها ، واحتساب الأجر في ذلك من الله تعالى ، فقد رويَّ عن ابن مسعود t أنه قال : " كنا مع رسول الله e في سفرٍ فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرَةً (نوع

من الطير) معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرة ، فجعلت تفرش ، فجاء النبي e فقال : "***من فَجَعَ هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها*** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦٧٥ ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

وروي عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال : "***بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلبٍ يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فملأ خُفَّهُ ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له*** " ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال e : "***في***

كُـلِّ كَبـدٍ رطبـةٍ أجـرٌ " (رواه البخـاري ، الحديث رقم ٢٣٦٣ ، ص ٣٨٠) .

وتأكيـداً لعنايـة الإسـلام بـالثروة الحيوانيـة وعنايتـه بهـا كأحـد أهـم محتويـات البيئة ومكوناتها الرئيسـة ؛ فقد جاء التحذير مـن تعـذيب الحيوانـات و الطيـور ونحوهـا ، والترهيب من تجويعها ، أو تحميلها ما لا تُطيق مـن الأعمـال ، والنهـي الشـديد عـن التسـبب في فنائها و هلاكها فقد رويَّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : كنـا مـع رسـول الله e في سفرٍ فرأى قرية نملٍ قد حرقناها ، فقال : " **من حرق هذه ؟** " ، قلنـا : نحـن . قـال : " **إنـه لا**

ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦٧٥ ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

ورويَّ عن عمرو بن الشريد قال : سمعت الشريد يقول : سمعت رسول الله e يقول :" ***من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة ، يقول : يا رب ، إن فلاناً قتلني عبثاً ، ولم يقتلني لمنفعة*** " (رواه النسائي ، الحديث رقم ٤٤٤٦ ، ج ٧ ، ص ٢٣٩) .

كما رويَّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله e قال : " ***من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأله الله عز وجل عن قتله ، قيل : يا رسول الله ، ما حقها ؟ قال : أن يذبحها فيأكلها ،***

ولا يقطع رأسها و يرمي بها " (رواه النسائي ، الحديث رقم ٤٣٤٩ ، ج ٧ ، ص ٢٠٦) .

والمعنى أن تعاليم الدين الإسلامي قد نهت عن العبث بأي عنصرٍ من عناصر البيئة ، كما نهت عن ذبح الحيوانات والطيور وما في حكمها لغير حاجةٍ لازمة " وهذا النهي هو قمة التوازن ، لأن له طرفين ؛ ففي الطرف الأول يُسمح للإنسان بالانتفاع بأكل الحيوان لسد حاجاته الضرورية التي تحفظ حياته ، بحسبان أنه أكرم عناصر البيئة . وفي الطرف الثاني يُنهى عن تجاوز ذلك إلى ذبح الحيوان لمجرد الإفساد ، أو لتحقيق شهوة التسلط ؛ لأن هذا الإفساد سيُلحق ضرراً بالغاً بعناصر [أُخرى]

في البيئة وبالإنسان نفسه على المدى البعيد " [٦] .

وهنا يمكن القول : إن مظاهر عناية الإسلام بالثروة الحيوانية تنطلق من كونها أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي تستوجب الحفاظ عليها والعناية بها ؛ لا سيما وأنها توفر للإنسان كثيراً من المنافع المختلفة في حياته ، إضافةً إلى أثرها الفاعل في الحفاظ على التوازن البيئي ، والعمل على حل بعض مشكلاته بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة .

ثالثاً: مظاهر عناية الإسلام بالثروة النباتية:

دعا الإسلام إلى المحافظة على الثروة النباتية والمسطحات الخضراء ، والعناية بها ، وعدم العبث بما فيها من الأشجار والشجيرات والنباتات المختلفة ، أو التعدي عليها بأي صورةٍ من الصور لغير مصلحةٍ عامةٍ ، أو منفعةٍ بينةٍ ؛ لا سيما وأن كثيراً من أنواع النباتات تُعد مصدراً هاماً و ضرورياً لحياة الإنسان الذي يعتمد عليها كثيراً في غذائه ، و دوائه ، و توفير متطلبات حياته المختلفة . ولذلك جاءت تعاليم الإسلام داعيةً إلى العناية والاهتمام بالنباتات ، و الإفادة من زراعة الأرض واستصلاحها فيما لا حُرمة فيه ، ولا نهي ، ولا شُبهه . فقد رويَّ عن جابر t أن النبي e

قال : " ***من كانت لَهُ أرضٌ فليزرعها ، أو ليمنحها أخاه فإن أَبى فليُمسِكْ أرضهُ*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٦٣٢ ، ص ٤٢٥) .

و عن أنس بن مالك t عن النبي e قال : " ***إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسيلَة ؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها ؛ فليغرسها*** " (رواه البخاري في صحيح الأدب المفرد ، الحديث رقم ٣٧١ / ٤٧٩ ، ص ١٨١) .

كما رويَّ عن أنسٍ t قال : قال رسول الله e : " ***ما من مُسلمٍ يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ ، أو إنسانٌ ، أو بهيمةٌ ؛ إلاَّ كان له به صدقةٌ*** " (رواه البخاري

، الحديث رقم ٢٣٢٠ ، ص ٣٧٢) . وما ذلك إلا لأن " زراعة الأرض بما يحتاجه الإنسان والحيوان من غذاءٍ ومأكولاتٍ [يُعَدُ] أحد جوانب استثمارها ، واستعمارها ، والاستفادة من عطائها الوافر الغزير " [٧] .

وليس هذا فحسب ، فقد ورد التحذير و الترهيب من التعدي على الثروة النباتية بالقطع والإبادة ، لما رويَّ عن عبد الله بن حبشي قال :قال رسول الله e : "***من قطع سِدرةً صوب الله رأسه في النار***" سئُل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال : هذا الحديث مختصر يعني من قطع سِدرةً في فلاةٍ يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حقٍ

يكون له فيها ، صوب الله رأسه في النار . (أبو داود ، رقم الحديث ٥٢٣٩ ، ج ٤ ، ص ٣٦١) .

كما ورد أن أبا بكرٍ الصديق أوصى أميراً من أُمراء جنده فقال : " .. وإني موصيك بعشرٍ ؛ لا تقتلن امرأةً ، ولا صبيًا ، ولا كبيرًا هرمًا ، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا ، ولا تُخرِّبنَّ عامرًا ، ولا تعقرنَّ شاةً ، ولا بعيرًا إلاَّ لمأكُلةٍ ، ولا تُحرقن نخلاً ، ولا تُفَرِّقنَّه " (مالك ، رقم الحديث ٩٦٥ ، ج ٢ ، ص ص ٤٤٧ – ٤٤٨) .

وهكذا يتضح مما سبق أن عناية الإسلام بتنمية الثروة النباتية وحمايتها ، والحرص على زيادة رقعتها تنطلق من كون

هذه " الأشجار والغابات الطبيعية تؤدي عملاً هاماً في تنقية الهواء من الغبار المُعَلَّق ، وتوقف كميات كبيرةٍ من الغبار الساقط ، كما تمتص الأشجار كمياتٍ كبيرةٍ من الغازات السامة " [٨] .

من ذلك كله ، يمكن القول : إن الثروة النباتية بما فيها من أشجارٍ وشُجيراتٍ ومُسطحاتٍ خضراء تُعد مكوناً رئيساً من مكونات البيئة ، ومورداً رئيساً من موارد غذاء الإنسان ، وحلاً مناسباً وملائماً للكثير من مشكلات التلوث البيئي ؛ إضافةً إلى كونها تُسهم بفعالية في الحفاظ على التوازن البيئي المطلوب .

رابعاً: مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي:

تمثلت عناية الإسلام بالهواء الجوي والاهتمام بسلامته وحمايته من أسباب التلوث البيئي في صورٍ عديدةٍ منها :

§ **عناية الإسلام** بمعالجة بعض مشكلات التلوث البيئي الذي ينتشر في الهواء الجوي عن طريق انتشار الأوبئة والأمراض المُعدية التي تظهر في بقعةٍ معينةٍ أو مكانٍ ما من البيئة ؛ بأن منع خروج منهم في ذلك المكان إلى غيره من الأماكن ، كما منع قدوم الناس إلى

ذلك المكان الموبؤ ودخولهم إليه لأن هواءه ملوثٌ - في الغالب - بجراثيم مُمرضة . فقد روي عن أُسامة بن زيد t أن النبي e قال : " ***إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٥٧٢٨ ، ص ١٠١٢) . وبذلك يكون الإسلام قد فرض منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان ما يُعرف في عصرنا **بالحجر الصحي أو العزل** الذي يمكن من خلاله حصر الأوبئة و الأمراض المُعدِّيَة في مكانٍ واحدٍ ، وبذلك يمكن الحد -

بـإذن اللّه تعـالى - مـن وسـائل نقلـها وانتشار خطرها .

§ **تحذير الإسلام** من خطورة اندلاع الحرائق ومـا ينـتج عنهـا مـن مخـاطر و مضـار كـبيرة سـواءً علـى الإنسـان أو البيئـة مـن حولــه ، ولــذلك جـاء النهــي النبــوي الكـريم عـن تـرك النـار مشـتعلةً أثنـاء النوم ، فعن ابن عمرٍ (رضـي اللّه عنهمـا) أن النبي e قال : "***لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون***" (رواه البخـاري ، الحديث رقم ٦٢٩٣ ، ص ١٠٩٥).

ورويَّ عن أبـي موسـى t أنـه قـال : احـترق بيتٌ بالمدينة على أهله من الليل فحُدِّث بشـأنهم

النبيُّ e قال : " ***إنَّ هذه النار إنَّما هي عدُوٌّ لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٢٩٤ ، ص ١٠٩٥) .

وعن جابر بن عبد اللّه (رضي اللّه عنهما) قال : قال رسول اللّه e : " ***..وأطفئوا المصابيح ، فإن الفويسقة رُبَّما جَرَّتِ الفتيلة فأحرقت أهل البيت*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٦٢٩٥ ، ص ١٠٩٥) . وقد أكد العلم الحديث أهمية هذا التوجيه النبوي الكريم حيث " يمكن أن يُفسر سبب الأمر بإخماد النار ، وإطفاء السراج قبل النوم ، على أنه مدعاةٌ لتجنب حدوث حريقٍ وانتشاره . فالفويسقة (وهي الفأرة) ربما عبثت بفتيلة السراج وتسببت

بذلك في انسكاب زيت السراج على الأرض واشتعال النار فيه .. وهناك فائدةٌ أُخرى من إطفاء السراج وهي الاحتياط من حدوث تلوثٍ داخل المنزل نتيجة الاحتراق غير الكامل للوقود المستخدم في السراج ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى إطلاق غاز أول أُكسيد الكربون السام الذي يتسبب في الموت " [٩] .

§ الإشارة إلى الكيفية الصحيحة للتخلص من جُثث الموتى لمختلف الكائنات الحية ، وذلك عن طريق الدفن الذي يواري الأجساد الميتة في التُراب ؛ فيتم بذلك التخلص من بعض أسباب التلوث البيئي ، وتتم حماية البيئة من كثيرٍ من المخاطر

المحتملة التي تنشأ عن تحلل الجُثث ، وانتشار روائحها الكريهة .

وهنا يمكن ملاحظة أن مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي ومنع تلوثه قد ركزت قديماً على ما كان معروفاً آنذاك من أسباب التلوث البيئي في هذا الجانب ، ولم تتطرق إلى غيرها من الأسباب المعروفة في عصرنا ، والتي جاءت نتاج تقنياتٍ صناعيةٍ حديثةٍ لم تكن معروفةً من قبل .

خامساً/ مظاهر عناية الإسلام بالثروة المائية :

بلغت عناية الدين الإسلامي بالثروة المائية مبلغاً عظيماً لاسيما وأن الماء ضروريٌ و لازمٌ لكل الكائنات ؛ انطلاقاً من قوله تعالى : **{ و جعلنا من الماء كل شيءٍ حي }** [الأنبياء : ٣٠] . ولذلك ورد النهي الشديد عن تلويث مصادر المياه بأي صورةٍ من الصور ؛ حيث أن الماء يُعد في الإسلام حقاً مشاعاً لجميع الكائنات الحية في البيئة ، وليس لأحدٍ أن يتصرف فيه بصورةٍ أو كيفيةٍ تؤثر على مصالح الآخرين ومنافعهم . فعن رجلٍ من المهاجرين من أصحاب النبي e قال : غزوت مع النبي e ثلاثاً أسمعه يقول : "***المسلمون شُركاء في ثلاث ، في الكلأ ، و الماء ، و***

النار " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٣٤٧٧ ، ج ٣ ، ص ٢٧٨).

ولهذا فإن للثروة المائية على وجه الخصوص أهمية كبرى " وهذه الأهمية والضرورة تقتضي من الإنسان حُسن التعامل معه ، وتوظيفه فيما خُلق له ، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء ، والاستفادة منه بحكمةٍ وتعقل ، والحرص على طهارته ونقائه ، حتى لا يكون بيئةً صالحةً للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات ، ومن ثم يصبح مصدراً للهلاك والإهلاك " [١٠] .

ونظراً لأهمية المصادر المائية وضرورة المحافظة على سلامتها ، وعدم تلويثها فقد

نهى النبي e عن التبول أو التبرز في الماء حتى لا يتلوث ويُصبح استعماله ضاراً و خطِراً على من يستعمله فيما بعد ؛ فعن أبي هريرة t أن النبي e قال : "***لا يبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائم ، الذي لا يجري ، ثم يغتسل فيه***" (رواه البخاري ، الحديث رقم ٢٣٩ ، ص ٤٤) .

كما روي عن جابر t عن رسول الله e أنه " نهى أن يُبَالَ في الماء الراكد " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٥٥ ، ص ١٣٢) . وما ذلك النهي النبوي الكريم إلا منعاً لما يترتب على هذا السلوك من المخاطر الصحية ، و انتشار بعض الأمراض الخطيرة ، وهو ما أشارت إليه إحدى الدراسات التي أكدت أن "

هناك أمراضاً كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه ، من بينها : الكوليرا ، والبلهارسيا ، والأمراض المتوطنة و الخبيثة " [١١] .

وفي حديثٍ آخر عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال : " ***اتَّقُوا اللَّعَّانَيْن*** " ، قالوا : وما اللَّعَّانان يا رسول الله ؟ قال : " ***الذي يتخلى*** (أي يتغوط ويقضي حاجته) ***في طريق الناس ، أو في ظلهم*** " (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦١٨ ، ص ١٢٧) . وما هذا التحذير النبوي الكريم إلا لأنه " ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تُسبب الأمراض الوبائية المتوطنة ، وتُساعد على انتشارها ، ولا شك أن النهي عنها

ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات " [١٢] .

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالثروة المائية تنطلق من كون الماء عنصراً هاماً وحيوياً ولازماً لاستمرار حياة مختلف الكائنات الحية التي تعتمد عليه اعتماداً كبيراً في معيشتها ، وهو أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي يؤدي نقصه أو حدوث أي خللٍ فيه إلى كثيرٍ من المشكلات البيئية التي تُعرِّض حياة الإنسان والحيوان والنبات للخطر والضرر.

سادساً/ مظاهر عناية الإسلام بالمُنشآت والمرافق العامة:

تمثلت عناية الإسلام بالمنشآت والمرافق العامة في العديد من التوجيهات النبوية الكريمة التي تدعوا إلى ضرورة المحافظة عليها في أجمل صورها وأبهاها ، وعدم إهمالها أو العبث بها أو تشويه جمالها ، فعن معاذ بن جبلٍ t أن رسول الله e قال : " ***اتقوا الملاعن الثلاثة : البُراز في الموارد ، و قارعة الطريق ، و الظل*** " (رواه أبو داود ، الحديث رقم ٢٦ ، ص ٧) . وفي هذا الحديث تحذيرٌ شديد من إفساد وتلويث بعض المرافق العامة المتمثلة في

موارد المياه التي يردها الناس للإفادة من مياهها ، والطرق التي لا يستغني عنها الناس لقضاء حوائجهم ومتطلبات حياتهم ، و أماكن الظل التي يرتادها الناس طلباً للراحة و المتعة . كما أن في الحديث دعوةٌ إلى العناية بهذه المرافق والمنشآت ، والمحافظة على سلامتها من التلوث البيئي الذي يؤدي إلى كثيرٍ من الأضرار الصحية التي تنتج عن ذلك حيث " يتسبب وجود البُراز في الماء في التلوث بالطفيليات و الفيروسات و الروائح الكريهة والبكتيريا . وحين يكون البراز بكمياتٍ كبيرةٍ كما هي في تصريف مياه المجاري إلى المسطحات المائية كالبحار ، والأنهار ،

والبحيرات ، والجداول ؛ فإن ذلك يؤدي إلى استنزاف الأكسجين الذائب في مياه هذه المسطحات ، وذلك أثناء عملية التحلل البيولوجي للمواد العضوية الموجودة في مياه المجاري ، وهو أمرٌ يؤثر في حياة الأسماك و الأحياء المائية الأُخرى " [١٣] .

كما أن من مظاهر عناية الإسلام بالمرافق العامة ما جاء في الحث على نظافة وسلامة الطرقات وإماطة الأذى عنها ؛ فعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : " ***الإيمان بضعٌ وسبعون ، - أو بضعٌ وستون - شُعبةً ، فأفضلُها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان*** "

(رواه مسلم ، الحديث رقم ١٥٣ ، ص ص ٣٨ – ٣٩).

وما روي عن أبي برزة t أنه قال : قلت : يا نبي الله ! علمني شيئاً انتفعُ به ، قال : "***اعْزِلِ الأذى عن طريق المسلمين***" (رواه مسلم ، الحديث رقم ٦٦٧٣ ، ص ١١٤٣) . ومعنى اعزل الأذى أي الحث على إماطة وإزالة كل ما فيه أذىً أو مضرةً للمسلمين سواءً كان قذراً ، أو جيفةً ، أو خطراً ، أو شوكاً ، أو نحو ذلك مما قد يتسبب في إيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم ؛ وما ذلك إلا لأن " من حق الإسلام على المسلم ألاَّ يدَّخر وسعاً في إماطة الأذى عن الطريق ليجد السالكون في نظافتها و طهارتها

تلبيةً للفطرة السليمة ، وإحمايةً] لهذه الفطرة من أن تفسد برؤية الأذى " [١٤] .

ومما يتبع للمرافق والمنشآت الدور والأفنية التي دعا الإسلام إلى الاهتمام و العناية بنظافتها والحرص على عدم تعرضها لأي نوعٍ من التلوث عن طريق المحافظة على نظافتها وما في حكمها من الأماكن و المرافق والساحات والميادين التي يُقيم الإنسان بين جنباتها بصورةٍ دائمةٍ أو مؤقتة " لأن تراكم الأوساخ في البيوت يُعطي الحشرات والجراثيم مجالاً رحباً للازدهار والنمو ، فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة التي تُزكم الأُنوف ،

و تجعل البيوت مكاناً لا يُطاق للإقامة فيها " [١٥] .

سابعاً / مظاهر عناية الإسلام بتوفير الهدوء والسكينة:

نهى الإسلام عن كل ما من شأنه إحداث الضجيج والضوضاء والصخب ، وأمر بعدم رفع الأصوات عن القدر المعتاد لما يترتب على ذلك من إيذاءٍ للآخرين ، وإخلالٍ براحتهم ، وتلويثٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ لصفو حياتهم . وقد جاء الأمر بذلك في قوله تعالى : **{ واقصد**

في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} [لقمان : ١٩] .

كما روي عن أبي موسى الأشعري قال : كُنَّا مع النبي في سفرٍ فكنا إذا علونا كَبَّرنا فقال : " ***ارْبعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، تدعون سميعاً بصيراً قريباً*** " (رواه البخاري ، الحديث رقم ٧٣٨٦ ، ص ١٢٧١) . والمعنى أن منهج الإسلام ممثلاً في الهدي النبوي المبارك ينهى الإنسان المسلم عن رفع الصوت وإحداث الجلبة والضجيج حتى عند الدعاء والذكر ، وما ذلك إلا لأهمية المحافظة على الهدوء والسكينة في مجتمع المسلم و بيئته التي يعيش فيها ؛ وبذلك يتمكن

الجميع من أداء أعمالهم والقيام بواجباتهم ، و الاستمتاع بأوقات راحتهم ، و عدم الانزعاج أو القلق من الأصوات العالية والضوضاء التي أشارت بعض الأبحاث العلمية إلى أنها " تُصيب الإنسان بالعديد من الأمراض التي قد تنتهي بالجنون أو الوفاة . فمن الممكن أن يفقد الإنسان قدرته على التركيز الذهني ؛ وبذلك يقل إنتاجه الفكري ، وتكثُر الأخطاء . كذلك يؤدي الضجيج إلى إصابة الإنسان بالاكتئاب أو بأورام سرطانية قاتلة .هذا بالإضافة إلى إصابة الإنسان بأمراض الأُذن ، و تهيج الأعصاب وربما تلفها " [١٦] .

ثامناً / مظاهر عناية الإسلام بالحفاظ على الحياة الفطرية :

قرَّر الإسلام مبدأ الحفاظ على الحياة الفطرية (نباتيةً أو حيوانية) دون تدخلٍ بشريٍ جائرٍ ، حتى لا تتعرض للهلاك والانقراض ؛ ولتحقيق ذلك فقد " أدرك الإسلام أهمية الحياة البرية مثل : الحيوانات ، والطيور ، والأشجار الطبيعية ، والنباتات الرطبة ، والحشائش . ودعا للحفاظ عليها جميعاً ، وعدم إتلافها ، أو تدميرها ، أو حرقها ، وعدم ذبح الحيوانات والطيور إلا للأكل .

كذلك كان الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية ، وأقام ثلاث محمياتٍ طبيعية في : الحرم المكي ، وحرم المدينة ، وحرمٌ آخر بالطائف ، وحدَّد حدودها ، و قدَّر أبعادها . وسنّ الإسلام التشريعات المناسبة لحماية الحياة البرية بهذه الأماكن المحرمة ؛ وبذلك كان له السبق في إدخال هذه التشريعات الحضارية المُتقدمة للحفاظ على البيئة " [١٧] .

وهكذا يمكن القول : إن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في مظاهر عديدة تنطلق من كونه مخلوقاً مكرماً ومتميزاً عن غيره من المخلوقات الأُخرى ؛ الأمر الذي يجعله

بمثابة القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض ، فكان لزاماً عليه أن يُحسن استثمار ما سخره الله تعالى له من الخيرات ، والنِعَم ، والموارد البيئية المختلفة ، وأن يضبط تصرفاته معها ، وأن يكون أميناً في تعامله معها دونما عبثٍ ، إفسادٍ ، أو إخلالٍ بنظامها الذي تعمل به وتسير عليه . كما أن عليه العناية والاهتمام والحرص على نظافته الشخصية ، ونظافة بيئته المحيطة به ، والتحلي بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي ، وتعمل على حماية البيئة منها .

وختاماً، فإن مظاهر عناية الدين الإسلامي الحنيف بمكونات البيئة المختلفة

تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مسئولية حماية البيئة والحفاظ عليها تنطلق من منظور إسلامي شاملٍ ومتكاملٍ يهتم بجميع جوانب حياة الإنسان ، ويُعنى بكل ما من شأنه تربية الإنسان التربية البيئية الصحيحة التي تقوم على أساس أن اللّه تعالى خلق البيئة وأودع فيها كل مقومات الحياة ، ثم سخرها – جل شأنه – للإنسان ليعيش فيها ، ويستثمر مكوناتها ومواردها في الوفاء بمتطلبات حياته ؛ وأنه - جلَّ في علاه - لم يتركه يتعامل معها تعاملاً عشوائياً ، وإنما أرشده بطرقٍ ووسائل شتى إلى كيفية التعامل مع هذه البيئة من حوله بصورةٍ تكفل له حُسن استثمار مواردها ، والمُحافظة

على خيراتها ومكوناتها ، وترشيد استخدامها ليضمن بذلك استمرار عطائها ، وعدم استنزاف مواردها ، أو إهدارها والقضاء عليها .

ولذلك فقد جاءت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بالكثير من التوجيهات والتعاليم التي توضح للإنسان كيفية التعامل الصحيح مع البيئة بما فيها ومن فيها ؛ وترسم له الطريق الأمثل الذي ينبغي له أن يسير عليه ، وتُبيِّن له المنهج الذي عليه أن يلتزمه في تعامله مع كل ما حوله من كائناتٍ ومكونات . وهو ما يمكن أن نعده نظاماً ومنهجاً متكاملاً للتربية البيئية في الإسلام .

~ ~ ~

الهوامش :

١- سيد قطب . ***خصائص التصور الإسلامي ومقوماته*** . ط (٢) . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٥م ، ص (١٨٦ – ١٨٧).

٢ - عبد الوهاب رجب هاشم بن صادق . ***التلوث البيئي*** . الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص (١٢) .

٣ - محمد مرسي محمد مرسي . . ***الإسلام والبيئة*** . الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ،

مركز الدراسات والبحوث ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص (٤٥) .

٤- مختار سالم . ***الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية*** . بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص (٦٤) .

٥ - حسين مصطفى غانم . ***الإسلام وحماية البيئة من التلوث*** . مكة المكرمة : جامعة أُم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص (٢٢٠ – ٢٢١) .

٦ - إبراهيم بن عبد الله السماري . الإسراف في المجال البيئي وموقف الإسلام منه . ***رسالة الخليج العربي*** ، العدد (٥٥) ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص (٧٦) .

٧ - عبد الرحيم الرفاعي بكرة . ***أُسس التربية البيئية في الإسلام*** ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص (٤١) .

٨ - حسين مصطفى غانم . ***الإسلام وحماية البيئة من التلوث*** . مرجع سابق ، ص (٦٠) .

٩ - محمد عبد القادر الفقي . ***البيئة .. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث" رؤية إسلامية"*** . القاهرة : مكتبة ابن سينا ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص (٢٢٢) .

١٠ - عبد الرحيم الرفاعي بكرة . ***أُسس التربية البيئية في الإسلام*** ، مرجع سابق ، ص (٤٦) .

١١ – محمد مرسي محمد مرسي . ***الإسلام والبيئة*** . مرجع سابق ، ص (١١٨) .

١٢ - محمد مرسي محمد مرسي . ***الإسلام والبيئة*** . المرجع السابق ، ص (٣٨) .

١٣ - محمد مرسي محمد مرسي . ***الإسلام والبيئة*** . المرجع السابق ، ص (١١٩) .

١٤ - أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله ، و السعيد محمود السعيد عثمان . التربية البيئية ـ دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامي . ***مجلة التربية*** ، العدد (٢٠) ، القاهرة : جامعة الأزهر : كلية التربية ، ١٤١١هـ /١٩٩١م ، ص (١٥٥) .

١٥ - محمد عبد القادر الفقي . ***البيئة .. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث " رؤية إسلامية "*** . مرجع سابق ، ص (٢١٩) .

١٦ - علي علي السُكري . ***البيئة من منظور إسلامي*** . الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٩٥م ، ص (٦١) .

١٧ - علي علي السُكري . ***البيئة من منظور إسلامي*** . المرجع السابق ، ص (٢٠) .

المراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) . صحيح البخاري . ط (٢) . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .

٣- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) . صحيح مسلم . الرياض : دار السلام للنشر والتوزيع .

٤- مالك بن أنس . (د . ت) . *الموطأ* . تصحيح وتخريج وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة : دار الحديث .

٥- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني . (د . ت) . *سُنن أبي داود* . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الفكر .

٦- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) . *سُنن النسائي (المُجتبى)* . تحقيق / عبد الفتاح أبو غدة . ط (٢) . حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية .

٧- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . (د . ت) . *الجامع الصحيح (سُنن الترمذي)* . تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . بيروت : دار إحياء التُراث العربي .

٨- محمد ناصر الدين الألباني . (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) . *صحيح الأدب المفرد للإمام البُخاري* . ط (٢) ، الجبيل : دار الصديق .